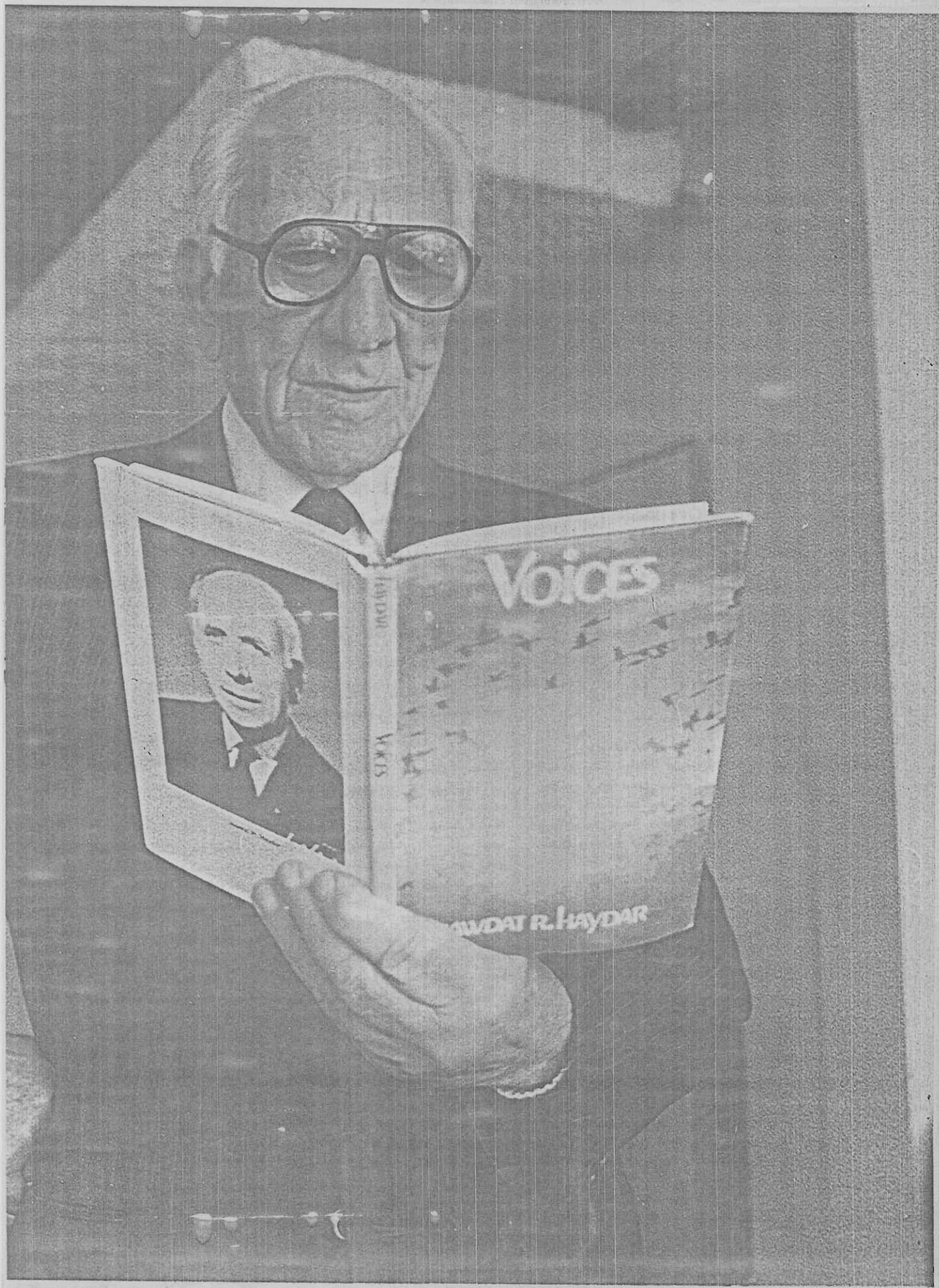
Voices
AWDAT R. HAYDAR

«شكسبير العرب» شاعر لبناني اسمه جودت حيدر:

شعري المكتوب بالانكليزية ورود جذورها عربية

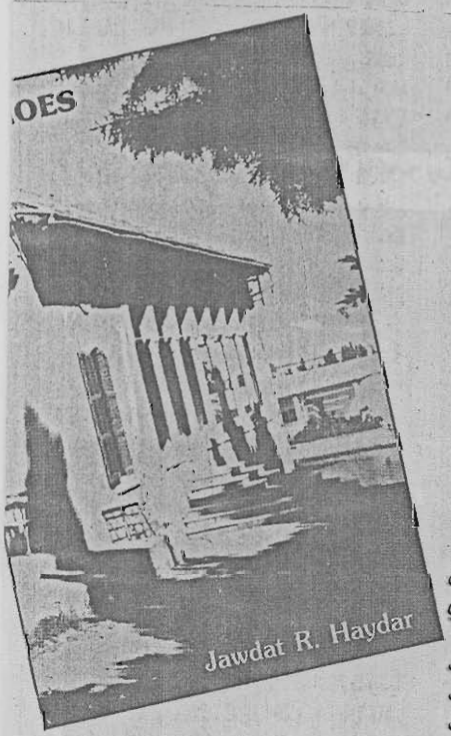

.. هروباً من مؤامرة التتريك، لجأ جودت حيدر الى «منفاه اللغوي» وله من العمر ثماني سنوات. هناك فيما وراء البحار مدّ جذوره العربية فأنبتت شعراً باللغة الانكليزية ورداً وريحين ضمّها دواوينه «أصوات» و«أصداء» وربطته صداقات متينة بأشعر شعراء الغرب روبرت فروست وازرا باوند وسواهما... الشاعر جودت حيدر الذي حرم نعمة تعلّم لغته الأم فباتت الانكليزية «منفاه التعبيري» الذي ألف به وفيه قامة ابداعية رفيعة ناهضة عمرها الآن ٨٣ عاماً.

بيروت: أسامة خيرالله

يفجؤك بوعيه الفذ للشعر، وبمستوى كتابته الشعرية باللغة الانكليزية، فاذا كنت ممن يتقنون هذه اللغة ويتثقفون مباشرة من متونها، فستكتشف وبذهول كم ان هذا الشاعر العربي قد بز اقرانه من كبار شعراء لغة شكسبير في هذا العصر.

فلديه استقامت اكثر ملوكانية الاداء والتعبير بأنكليزية هي اقوى واسلس من لغة «وولت ويتمان» و«ازرا باوند» و«روبرت فروست» بحسب الناقد اللبناني باللغة الانكليزية فوزي محيدلي.

انه جودت حيدر، الشاعر اللبناني ابن الـ٨٣ عاما والذي اضطرته ظروف حياته التنقل منذ الصغر خارج وطنه... من بعلبك، الى تركيا، الى فرنسا، الى الولايات المتحدة، مما حرمه ذلك نعمة تعلم لغته الام والتضلع منها، فباتت الانكليزية هي «منفاه التعبيري» وهي الأساس الذي به الف ويؤلف قامته الابداعية الشعرية.

يقول جودت حيدر: «لقد سعيت ان تكون لغتي الشعرية، لغة المفارقة والتضاد التي تحاول ان تستدعي العمق الحي والمدلول الفاعل للأشياء.

«في اشعاري سكون فلسفي، ومحاولة اقتراب من الحياة الروحية والتأملية. على انني لست في المقابل من هواة الهروب من الواقع او الاستغراق في الخيال، بل انا من الراغبين ان تبلغ اشعاري مرحلة الكونية عبر التحسس والادراك اللذين يعكسهما اتساع مدى افكاري وموضوعات قصائدي».

وهو وان كان قد استوعب اساسيات الشعر الكلاسيكي والمحدث المكتوب بالانكليزية، الا انه يرفض الاعتراف بمرجعية شعرية محددة له، فهو صوت نفسه كما يقول... لا ينتمي لمدرسة معينة، ولم يتأثر بشاعر معين. وهذا لا يعني عدم ايثاره لشعراء بذاتهم امثال: «روبرت فروست» و«دايفيد واغنر» وغيرهما.

حكى لي انه التقى بالشاعر الاميركي «روبرت فروست» مصادفة في القطار المسافر الى ولاية كانساس في قلب اميركا، فجرى بينهما تعارف، فصداقة عميقة انتهت بقصيدة كتبها الشاعر حيدر، هي من اجمل مرايا اشعاره المتلألئة بالسحر والغموض.

لا ادري لماذا يذكرني جودت حيدر بالكاتب والشاعر الارجنتيني الكبير «خورخي لويس بورخيس»، وبخاصة من جهة ثقافته الشمولية الممتدة بجذور وامداء الاساطير العالمية (شرقاً وغرباً). ثمة ممازجة شائقة بينهما تحركها الذات المتخصصة ببعض اجوائهما الشعرية ذات الاختراع الساخر والذي يفرض مناخه بفذاذة على القارىء.

انه مثل بورخيس يعرف كيف يعمر تجربة سرية تغلي بالكائنات.. يعرف كيف يقيم هذا التوازن المرعب بين الماضي السحيق والمستقبل المجهول.

تخاله احيانا كلاسيكيا حتى العظم، واحيانا اخرى حديثا تضيق المغامرة بارتفاع اسئلته الابداعية.

لا يخشى الشاعر حيدر مثل صاحب «كتاب الرمل» تصنيف النقاد له، بل يهجم هكذا بفروسية نادرة فارضاً صوته ولغته المتجاوزة على الناس والاشياء. فالابداع ذكاء خاص ليس له من مهمة في النتيجة سوى تقديم ما تترجمه الارادة والغريزة الكامنة فينا.

ولد جودت حيدر في بعلبك عام ١٩٠٦، وعاش فترة شبابه في بلاد الغرب حيث درس في جامعاتها علم التربية. وحين عاد الى الوطن عمل مديراً للمدرسة الوطنية في عاليه، ومديراً لمدرسة النجاح الوطنية في نابلس في فلسطين... ثم عمل مستشاراً للعلاقات الصناعية في شركة نفط العراق، ثم عمل في الزراعة كمهندس .. كل ذلك خلق منه انسانا عمليا وقادراً على الصراع مع التجريد بوثوق اكثر.

من أهم كتبه الشعرية المطبوعة بالانكليزية: «اصداء» و«اصوات» .. التقيناه مؤخراً في منزله في بيروت وكان شريط هذا الحوار: ◁

في البدء.. لنتحدث عن تجربتك الشعرية.. لماذا كتبت بالانكليزية بدلا من العربية لغتك الأم؟

■ إبان الحرب العالمية الأولى نفت الحكومة العثمانية عائلتي جميعا من لبنان الى تركيا وذلك بهدف قمع الشعور العربي فيهم. وكنت في ذلك الحين في الثامنة من عمري. قضيت طفولتي في تركيا مجبراً على تعلم لغتها وتكلمها. وبعد الحرب، وعندما رجعنا الى لبنان، كانت لغتي العربية ركيكة جدا. دخلت الانترناشيونال كولدج» في بيروت لأكمل دراستي الثانوية، وكانت مادة التعلم فيها باللغة الانكليزية. ثم سافرت الى فرنسا ومنها الى الولايات المتحدة لأكمل تحصيلي العلمي العالي.

قضيت في الولايات المتحدة سنوات طويلة دون ان ارجع فيها ولو لمرة واحدة الى وطني. ويعود ذلك لضائقة مالية فقط. في مدينة دالاس في ولاية تكساس كنت العربي الوحيد الذي يدرس وقتها، لذا لم يتح لي فرصة ان أتكلم العربية طوال سنوات اقامتي في الولايات المتحدة.

انهيت دراستي الجامعية، وعدت الى بلدي لأعطيه ما كنت قد اكتسبته من علم وخبرة في الخارج وهنا وجدت نفسي منكباً على تعلم العربية ومحاولة الكتابة بها، غير اني ولسوء الحظ لم اتمكن من جعل لغتي الأم هي الموجهة لابداعيتي، فإضطررت الى متابعة كتابتي الشعر والنثر باللغة الانكليزية.

□ اللغة الانكليزية هي «منفاك اللغوي» اذن كما الفرنسية هي «منفى» نفر كبير من مبدعينا العرب ولاسيما في المغرب العربي الكبير؟

■ نعم الانكليزية هي «منفاي اللغوي»، ولكن كتابة فقط، اذ إنني أقرأ كثيراً بالعربية والفرنسية ايضا، ومكتبتي عامرة بالكتب بهاتين اللغتين الى جانب الكتب والمراجع الانكليزية.

مقطع القول انا ايضا أقرأ بالعربية والفرنسية واستسيغهما لكني غير قادر على التعبير كتابة بهما.

في اختصار انا احد ضحايا مؤامرة التتريك التي مضى بها الحكم العثماني ايام زمان، غير اني فخور باكتسابي اصول ثقافتي العربية وتغذية شعري بمفاهيم فلسفية وأسطورية عربية، الى جانب طبعاً الأصول والمفاهيم التي تربيت عليها بواسطة اللغة الانكليزية في الغرب.

□ تقول انك سعيت الى ان تكون لغتك الشعرية «لغة المفارقة والتضاد التي تحاول ان تستدعي العمق الحي والمدلول الفاعل للأشياء».. لا بأس لو تتوسع لنا في شرح هذه المقولة على قاعدة نموذج او نماذج شعرية لديك؟

■ هذا القول في الحقيقة هو ملخص ما قاله البروفسور «مونرو» في مقدمة كتابي «أصداء» (Echoes) واني اعتبره قولاً نافذاً وصميمياً، فانا تمكنت من جمع التضاد بهدف رسم صورة واضحة، متجانسة، منسكبة في خلية واحدة تعطي المعنى المتكامل للفكرة التي اردت ان اعبر عنها... والأمثلة كثيرة على ذلك في شعري.

ثم قام الى ديوانه وشرع يقرأ لي بلهجة مسرحية مؤثرة قصيدة «أورفيوس»

وانتقل منها الى قصائد أخرى (هذه ترجمة لبعض مقاطع من قصيدة «الهياكل في بعلبك»):

الآتون، كلهم عيون
تنظر الى الماضي
الى اللغز القديم
في الجدران الهائلة»

□ هل تأثرت بحركة الشعر الحديث المكتوب بالانكليزية في اميركا وبريطانيا ولاسيما تجارب: «ايليوت»، «أودن»، «وولت ويتمان»، «إزرا باوند»، «روبرت فروست» وغيرهم... وغيرهم..؟

■ نعم تأثرت بحركة الشعر الانكليزي الحديث واسئلته القلقة، لسبب بسيط وهو انني اعاصر مثل هذا الشعر. وقد التقيت بعض اعلامه الكبار امثال: «روبرت فروست» و«دايفيد واغنر»، واعجبت بشعر البعض الآخر، ولكني لا اعتبر نفسي منتميا الى اي من مدرسة هذا الشاعر او ذاك.

□ حدثنا عن لقائك بالشاعر الكبير روبرت فروست؟

من اليمين: الشاعر حيدر فالرئيس الراحل صبري حمادة ثم العميد ريمون اده في جلسة انشراح

مع الرئيس الراحل رشيد كرامي (في الوسط) وثلة من الاصدقاء

■ التقيت بالشاعر الاميركي روبرت فروست، وذلك مصادفة بالقطار المسافر الى كانساس في قلب اميركا. يومها لم يكن شاعراً معروفا، نشأت بيننا صداقة استثنائية امتدت طويلا الى حين وفاته. وقد كتبت فيه قصيدة هي من الروائع لديّ.

في المناسبة هل تدري ان «فروست» لم يجد ناشراً له في اميركا في ذلك الزمان... بالفعل لقد عانى كثيراً على هذا الصعيد، ومن يأسه ترك اميركا الى بريطانيا وهناك - كما اخبرني - وبينما كان يتمشى في شوارع لندن جذبته لافتة خاصة بدار نشر يشرف عليها الشاعر ازرا باوند فتعرف «فروست» الى هذا الاخير وطلب منه نشر دواوينه رحب به الشاعر باوند وامهله اياما كي يبت بأمر النشر. وفي الموعد المضروب رحب «باوند» بالشاعر «فروست» ، وطلب منه دواوينه كافة لينشرها. وهكذا انطلقت شهرة فروست من لندن وبعد هذا الفصل الايجابي الكبير معه في لندن انهالت عليه طلبات دور النشر الاميركية تلتمس منه طباعة

دواوين شعري حدائق مغلقة
لكنها غير مقفلة تنفتح أبوابها
أمام ذواقة الرحيق الشعري.

شعري لا ينتمي الى زمان ومكان
محددين وأشعر بالرضا العميق
عندما يوصف بأنه شمولي.

الشاعر الكبير يتقدم على الفيلسوف
ولا يدرك تقدم الشعر على الفلسفة الا الطليعيون.

لم يمتزج الشعر بالفلسفة في الغرب الا حديثاً
أما ابو العلاء المعري فقد سبقه من الفلاسفة الشعراء طرفة بن العبد.

ازرا باوند هو أول من نشر ديوانا للشاعر الانكليزي روبرت فروست
وبعد ذلك انهالت على فروست طلبات نشر اي جديد شعري له

اي جديد شعري له.

□ **ما الذي احببته في شعر «فروست»؟**

■ هذه المتانة الحداثوية الطالعة برسوخ من الكلاسيكية اللاتينية، والتي تشف شيئا فشيئا لتغلب عليها تلك المسحة الغنائية التي تذيب القلوب. وقصائده في الغالب هي بضمير المتكلم. وقد ترجمت الى العديد من اللغات العالمية ولاسيما اليابانية والروسية والألبانية والفرنسية.

□ **يقال انه في اواخر ايامه صار «اميراً للشعراء»**

■ هذا صحيح... وقد اعترف بالشعرية له الجميع. منح مثلا جائزة «بوليتزر» السنوية للشعر اربع مرات. كما انه دُعي لزيارة الاتحاد السوفياتي، وزاره في مقره في موسكو وقتها خروتشوف رئيس الوزراء، ودعا «فروست» في اثناء لقائه خروتشوف الى التنافس الايجابي بين الجبارين وذلك لتزدهر البشرية ويعم السلام الحقيقي بين الشعوب.

والنواحي العالمية لشعر «فروست» اكثر اتساماً بالشخصية والانتقائية كما يقول بعضهم. وشعره في النهاية من المنشبكة في التاريخ والاجتماع والكيان النفساني... انه العلاقة المتوجسة بالعالم... الأسئلة المنذرة بالحذر... ما تعليقك؟

■ محيط بلا حدود هو الشعر، يحوي في طياته عناصر الابداع والمعرفة . فيه يصعد الشاعر السلم الى القمة ملقيا نظرة شاملة على الكون وهذه النظرة تحوي في طياتها الحذر، لكونها تولد في نفس الشاعر اسئلة على الانسان ان يتطرق اليها بحكمة وحنكة.

□ **الا تعتقد ان الابداعي ضروري للشعر عكس الابهام المستغلق على ذاته.. وشعرك يلفه غموض ابداعي يبدو انك تصر عليه، اليس كذلك؟**

■ شعري مثل حديقة مغلقة وليست مقفلة .. تفتح بسهولة للقارىء المطلع ليرى فيها الأزهار. ان أمعن النظر شاهد نحلة تجني الرحيق، وان امعن اكثر شاهد حبة الرحيق، وان زاد في الامعان فاض فيه المشهد «الرحيقي» كله.

□ **لنتحدث عن مصادر غذائك الشعري.. وكيف تعاين من خلال هذه المصادر تطور تجربتك الكتابية بنيوياً ورؤيوياً؟**

■ ان مصادر غذائي الشعرية هي الساعات الطويلة التي أمضيتها وأمضيها بين كتبي التي تشمل في ما تشمل كتب أدب وفلسفة وعلوم العالم.

انها السنون الطويلة والعديدة التي خبرت فيها الانسان والحياة عن كثب. وممالا شك فيه ان شعري تأثر وتطور بنيويا ورؤيويا بهذه الاختبارات.

□ **كتبت الشعر بشكلية: الايقاعي والنثري... لماذا نوّعت في الكتابة هنا؟ وفي اي من الشكلين.. تجد نفسك حراً اكثر؟**

■ ان الشعر الايقاعي بالنسبة اليّ هو الاساس وما كتبت الشعر النثري الا «مجاراة» لأدب هذا العصر، والمجاراة هنا لا تعني الافتعال ابداً.

□ **ماذا تعني اذن؟**

■ تعني المقدرة على التعبير الابداعي بأساليب أخر.

□ **بات الشعر هذه الأيام - وخصوصا في الغرب - يمتزج بالفلسفة، وفي هذا ضرر للشعر والفلسفة في آن... ما تعليقك؟**

■ كما قلت سابقاً، الشعر هو بناء وفلسفة وشعور، ولم يمتزج بالفلسفة في الغرب الا حديثا.

ومن الفلاسفة الشعراء «طرفة بن العبد» في الجاهلية، «وابو العلاء المعري»، و«بوشكين» الروسي «وجيد» الفرنسي.

ان الشاعر الكبير يتقدم على الفيلسوف ويسبقه في الرؤية. وهذه مسلمة مؤكدة في تاريخ الفكري البشري، ولا يدركها الا الطليعيون.

□ **كيف صهرت ثنائية معناك الشرقي بمعناك الغربي انسانيا وشعرياً؟**

■ شعري المكتوب بالانكليزية على الرغم من توجهه العالمي، مغموس بجذوري كانسان عربي شرقي يحس بتجارب امته ويعاني معاناتها في الصميم. وقد كتبت كثيراً لها وعنها. ومن دواعي سروري ان شعري وصف بالشمولية وعدم الانتماء الى زمان ومكان محددين.◇

الشاعر جودت حيدر: نظرة بورخيسية

على الحدود السورية - اللبنانية. الشاعر، الاول الى اليسار مع الرئيس الراحل رياض الصلح

الشاعر، الثاني الى يمين الرئيس شارل حلو